استراتيجيات مراكمة الرأسمال الثقافي، الرمزي والاجتماعي: النشاط السياحي أنموذجا

د. حسان تريكي

جامعة الشاذلي بن جديد – الطارف، hacenetriki@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2017/01/12 **تاريخ المراجعة:** 2018/10/09 **تاريخ القبول:** 2018/12/05

ملخص

يلجأ الأفراد في الحياة الاجتماعية إلى عدد من الاستراتيجيات لمراكمة رأس مال متنوع؛ اقتصادي، وثقافي، ورمزي واجتماعي، وفي هذا الإطار قد يتخذ النشاط السياحي إستراتيجية استثمار تهدف إلى صيانة وتنمية أنواع مختلفة من الرساميل. من هذا المنطلق نركز الاهتمام في هذا المقال على دراسة وتحليل الدور الذي يلعبه النشاط السياحي في مراكمة الرأسمال؛ الثقافي، والرمزي والاجتماعي، وفي ضوء سوسيولوجيا بيير بورديو.

الكلمات المفاتيح: سياحة، رأسمال ثقافي، رأسمال رمزي، رأسمال اجتماعي.

Strategies for accumulation of cultural, social and symbolic capitals: Tourist activity as a model (Case of Tourist Activity)

Abstract

In social life, individuals resort to a number of strategies, for the accumulation of various capitals; such as economic, cultural, symbolic and social. In this context, tourism activity can be taken as an investment strategy in order to preserve and increase capital in its various forms. On this basis and on the basis of these considerations, our article aims to study and analyze the role played by tourism activity in the accumulation of social, cultural and symbolic capital, in the light of Pierre Bourdieu's sociology.

Key words: Tourism, cultural capital, symbolic capital, social capital.

Stratégies d'accumulation des capitaux: culturel, social et symbolique L'activité touristique comme modèle

Résumé

Dans la vie sociale, les individus recourent à un certain nombre de stratégies pour l'accumulation de divers capitaux; économique, culturel, symbolique et social. Dans ce cadre, l'activité touristique peut être considérée comme une stratégie d'investissement, dont l'objectif est de conserver et d'augmenter le capital sous ses différentes formes. Sur cette base et à partir de ces considérations, notre article vise à étudier et à analyser le rôle que joue l'activité touristique dans l'accumulation des capitaux: social, culturel, et symbolique, et ce à la lumière de la sociologie de Pierre Bourdieu.

Mots-clés: Tourisme, capital culturel, capital symbolique, capital social.

المؤلف المرسِل: حسان تريكي، hacenetriki@gmail.com

مقدمـــة

يعتبر مفهوم الرأسمال من أهم المفاهيم التي وظفها بيير بورديو Pierre Bourdieu[1] في أبحاثه السوسيولوجية، فهذا المفهوم لا يقتصر فقط على البعد الاقتصادي الكلاسيكي، وإنما يتجاوز ذلك إلى أبعاد أخرى متنوعة مثل الرأسمال الثقافي، والرأسمال الاجتماعي، والرأسمال الرمزي وقد أصبح هذا المفهوم أداة منهجية يستخدمها الباحثون في مختلف العلوم الاجتماعية، نظرا لخصوبته الاستكشافية، وقدرته على تفسير متعدد الأبعاد للظواهر الاجتماعية.

انطلاقا من ذلك، سنحاول في هذه الورقة البحثية، الاعتماد على مفهوم الرأسمال عند بورديو لتقديم رؤية سوسيولوجية تحليلية مغايرة للنشاط السياحي، تسمح بكشف الدلالات الاجتماعية والأبعاد الخفية وغير المعلنة " le non-dit" التي ينطوي عليها النشاط السياحي، مما يسمح بكشف الأبعاد غير الاقتصادية للتنمية السياحية.

1- الرأسمال والاستراتيجية في سوسيولوجيا بيير بورديو:

طرح بورديو منظومة مفهومية جديدة ترتكز عليها رؤيته للواقع، وهي رؤية مغايرة في كثير من جوانبها للرؤية الكلاسيكية في علم الاجتماع ، فلقد أعاد بورديو قراءة المفاهيم الكلاسيكية في علم الاجتماع، وأضفى عليها أبعادا جديدة، ومنحها آفاقا سوسيولوجية أكثر اتساعا. كما أنه قام بصياغة مفاهيم جديدة، أسهمت في إثراء المعجم السوسيولوجي، ومن أهم هذه المفاهيم نجد؛ الهابيتوس Habitus، الرأسمال Le capital، العنف الرمزي la violence symbolique، الحقل Le champ وإعادة الإنتاج La reproduction[2].

ويمثل مفهوم الرأسمال مفهوماً مركزياً عند بورديو، وهو مستمد أساساً من علم الاقتصاد الكلاسيكي، ويعني الثروة المتراكمة، ويستخدم في النظرية الماركسية للإشارة إلى العلاقة بين مالكي وسائل الإنتاج وبائعي قوة العمل. أما بورديو فقد وسّع فكرة رأس المال المطروحة في علم الاقتصاد وفي النظرية الماركسية، فهناك عدة صور للرأسمال، مثل الرأسمال الثقافي capital culturel، والرأسمال الاجتماعي capital social، والرأسمال الرمزي capital symbolique، وعلى الرغم من أن هذه الأشكال من رأس المال تعد أقل وضوحاً من رأس المال الاقتصادي، إلا أنها تشترك معه في العديد من السمات، فهي تمثل قيمة لحامليها، وتتصف بالتراكمية، ويمكن أن تستثمر لتنتج منافع أو مزايا أخرى[3]. وحسب بورديو؛ "الرأسمال هو كل قوة اجتماعية قادرة على إنتاج متاع نادر وربح مميز، إنه عتاد حرب، حينئذ لا يجوز اختزاله في معناه الاقتصادي بكونه امتلاك وسائل مادية، فذلك رسم لونه باهت، لأدوات متعددة سواء كانت مموضعة في أشياء مادية أو نسق قدرات أو حالة في أشكال مؤسسة، ولاستثمار الرساميل يشترط توفر فضاء سوق، فيه يتنافس اللاعبون لتحقيق مصالح محددة ويتراهنون في اتخاذ أرباح مميزة. بهذا المعنى يضحي الحقل الاجتماعي كسوق لذلك الفضاء الذي يعرض فيه المتنافسون سلعهم طلبا للربح المميز لحقيقة الحقل"[4].

أما مفهوم الاستراتيجية، فيستخدمه بورديو ليعمق فهم أفعال الفاعلين الاجتماعيين وطبيعة ممارساتهم، فيرى أن ممارسات الفاعلين لا توجهها قواعد محددة مفروضة عليهم، وإنما خطط واستراتيجيات. ويؤكد بورديو على أن كل ممارسات الفاعلين تحددها مصالحهم أو منفعتهم، وبالتالي لا توجد أفعال مجانية أو بدون غرض، ولا يقصد بورديو بالمصلحة المفهوم الاقتصادى الضيق، ولكنه يقصد المصلحة بمفهومها الواسع، والذى يشمل المصلحة الرمزية والربح الرمزي[5]. وعليه، يمكن القول إن الاستراتيجية هي أفعال موجهة موضوعيا نحو غايات، قد تكون ليست مستهدفة لذاتها. ويصنف بورديو الاستراتيجيات إلى نمطين: استراتيجيات إعادة الإنتاج واستراتيجيات إعادة التحويل[6]:

– استراتيجيات إعادة الإنتاج: هي مجموعة الممارسات التي تهدف للحفاظ على الوضع الاجتماعي أو تحسينه، وتعتمد على حجم رأس المال وآليات إعادة الإنتاج، مثل الميراث، وسوق العمل، والنظام التعليمي، وترتبط حالة هذه الأدوات بحالة علاقات القوة بين الطبقات.

- استراتيجيات إعادة التحويل: مسؤولة عن الحركات داخل الفضاء الاجتماعي، مثل إعادة تحويل الرأسمال الاقتصادي إلى رأسمال تعليمي، وهى العملية التي تتيح للأغنياء الاحتفاظ بأوضاعهم المتميزة بشكل مشروع.

2- دور النشاط السياحي في مراكمة الرأسمال الثقافي، الاجتماعي والرمزي:

تمثل السياحة – كنشاط اجتماعي وثقافي– جسرا للتواصل بين الحضارات والثقافات، ونافذة للاطلاع على التنوع الثقافي والحضاري، كما تمنح الفرصة للاحتكاك ونسج العلاقات الاجتماعية بين مختلف الأجناس والقوميات، فهي بذلك تسهم في تشكيل ومراكمة رأسمال متعدد الأبعاد لدى الأفراد، وذلك على النحو الآتي:

2-1- دور النشاط السياحي في مراكمة الرأسمال الثقافي:

يعبر الرأسمال الثقافي لدى بورديو عن المؤهلات والقدرات، وكل أشكال المعرفة والخبرات التي يحصل عليها الفرد نتيجة التعليم والرغبة في المعرفة والبحث المتواصل والاجتهاد العلمي والتجربة التاريخية المتراكمة، والعمل الجماعي الدؤوب والمثابر. كما يمثل جملة المؤهلات الفكرية التي ينتجها المحيط الأسري والنظام التربوي، لتشكل أحد أدوات التحكم والتوجيه والتأثير في الفرد، ويتم مراكمتها عبر الزمن وتمريرها من شخص إلى آخر عن طريق المحاكاة والمشاركة والتقليد.

ويوجد الرأسمال الثقافي في أشكال متنوعة، حيث يشمل الميول والنزعات الراسخة والعادات المكتسبة من عمليات التنشئة الاجتماعية، كما يظهر إمبيريقيا في أشكال موضوعية مثل الكتب والأعمال الفنية والأدبية، والشهادات العلمية، وفي مجموعة من الممارسات الثقافية مثل زيارة المتاحف، وارتياد المسارح ، وحضور الندوات، وغير ذلك من ممارسات مختلفة في مجال الثقافة[7]. وعليه يساهم النشاط السياحي بمختلف أنواعه في تنمية ومراكمة الرأسمال الثقافي للأفراد، من خلال مساهمته في تفتح ملكاتهم الذهنية والفكرية، واكتساب كل أشكال المعرفة والخبرات، والوصول إلى التراث العالمي الثقافي والفني، ويتم ذلك عن طريق مجموعة من الممارسات الثقافية؛ كزيارة المتاحف والمعالم التاريخية، والتعرف على عادات وثقافات الشعوب الأخرى وأنماط الصناعة التقليدية، وحضور التظاهرات الثقافية والمهرجانات والمؤتمرات والمعارض، وغيرها من النشاطات التي تدخل في إطار السياحة الثقافية.

فالنشاط السياحي يشكل آلية للتواصل مع الثقافات الإنسانية، بغية التعرف على الجديد الذي تطرحه والآفاق التي ترسمها، انطلاقا من خلفيتها العقائدية والفكرية، وعن طريق هذا التواصل والانفتاح الثقافيين يتمكن الفرد من امتلاك الرؤية المستقبلية. فالتواصل الواعي مع الإنتاج الثقافي العالمي، يوفر للفرد أدوات معرفية ومفهومية جديدة، تزيد من آفاقه الذهنية والفكرية وتعمق من طموحاته الثقافية، مما يؤدي إلى وصوله إلى مرحلة النضج الثقافي والفكري[8]. من جهتها تساهم السياحة العلمية في مراكمة الرأسمال الثقافي، وذلك بإثراء الرصيد العلمي والمعرفي للأفراد وتنمية مهاراتهم الفكرية، من خلال السفريات العلمية المنظمة والمؤطرة والمتمحورة حول موضوع علمي محدد، سواء كان ذلك في مجال علم الأحياء، أو الآثار، أو الجيولوجيا، أو التكنولوجيا...إلخ.

فضلا عن ذلك لا يوجد مجال لإظهار الارتباط بين النشاط السياحي والرأسمال الثقافي أفضل من التعدد اللغوي، فالسياحة والأسفار يساعدان على تطوير قدرات الفرد اللغوية ويسمحان له بتعلم وإتقان العديد من اللغات،

مما يمكنه من مراكمة رأسمال لغوي. فإتقان لغة ما لا يقتصر فقط على تعلمها في المدرسة أو الجامعة، بل يتطلب توفر فرص حقيقية لاستعمال هذه اللغة، والتدرب على استخدامها بشكل مستمر، وبالتالي يشكل النشاط السياحي الدوري فرصة لإتقان العديد من اللغات.

يتشكل الرأسمال اللغوي كشكل من أشكال الرأسمال الثقافي، عن طريق التحكم في استعمال أكثر من لغة، وهو يوفر لمن يمتلكه أرباحا مباشرة، خاصة عند ندرته، أي عندما يكون واقع توزيعه غير متساوٍ[9]. وعليه، فإن تعدد اللغات هو حامل لرأسمال capital plurilingue يمكن استخدامه كعنصر فاعل في الكفاح الرمزي، وكسب الاعتراف الاجتماعي، وهو ما نلمسه في المجتمع الجزائري الذي تكونت فيه فئة أكثر تفتحا على الحداثة، بسبب قوة تراكم الموارد الاقتصادية والثقافية لديها. وهي فئة فرنسية اللغة والثقافة والتفكير تستعمل اللغة الفرنسية بكل تلقائية وعفوية في الشؤون العامة والخاصة، تحتكر معظم المناصب والامتيازات في الحياة الاجتماعية، مع التعالي على الواقع الثقافي العربي والتنكر له[10]، فبالإضافة إلى الاعتبارات التاريخية، نجد أن السياحة والأسفار –خاصة في اتجاه فرنسا– قد مكنت شريحة كبيرة من جيل الاستقلال من تعلم وإتقان اللغات الحية، وهو ما أصبح يشكل مظهرا من مظاهر التمايز الثقافي في المجتمع. ونشير هنا إلى أن التعدد اللغوي يمنح للفرد امتيازات اجتماعية كبيرة، لا سيما في مجال احتلال المناصب والالتحاق بالوظائف، خاصة في الشركات العالمية وفي القطاعات التي يتواجد بها الاستثمار الأجنبي.

من جهة أخرى تمنح السياحة والأسفار للسائح فرصة اقتناء التحف والألواح الفنية والصناعات التقليدية من مناطق مختلفة من العالم، مما يدعم رأسماله الثقافي في بعده المادي، وذلك عن طريق حيازة ممتلكات ثقافية ذات بعد رمزي. إضافة إلى ذلك يمكّن النشاط السياحي الفرد من اكتساب الخبرات الثقافية، والتي يمكن أن تساهم في تنمية الأذواق والحس الجمالي، وتطوير أسلوب الحياة، واكتساب نمط التعامل الراقي. ومن شأن ذلك تكريس تمايز Distinction يرتكز على ملكة الذوق ومخزون القيم الجمالية، والتي تتمظهر في طريقة اللباس، وطريقة الكلام، والترفيه، والطبخ والاستهلاك.

وقد أشار بورديو إلى أن التباين في امتلاكه الرأسمال الثقافي يؤدي إلى ظهور اللامساواة الثقافية والاجتماعية أمام المدرسة، وفي هذا الإطار أكدت الدراسات التي قام بها بورديو وباسرون Bourdieu et Passeron أن التباين في مستوى النجاح المدرسي لدى المتعلمين يعود إلى تباين في المستوى الثقافي، فالمتمدرسون لا يملكون نفس الرصيد الثقافي، مما يؤدي إلى ارتباط نجاحهم في دراستهم برصيدهم الثقافي الذي يكتسبونه من أوساطهم العائلية، حيث إن كل عائلة تمتلك رأسمال ثقافي معين وتتبع استراتيجية معينة لإعادة إنتاجه[11]، وينطبق الأمر نفسه على الرصيد الثقافي الذي تمت مراكمته عن طريق النشاط السياحي.

ومن القضايا البارزة التي طرحها بورديو في سياق تحليلاته لمفهوم الرأسمال، نجد اهتمامه بالجسد ككيان يتم تشكيله اجتماعيا، حيث يرى أن الجسد يمثل جانبا مهما من رأسمال طبيعي يدخل تحت المعنى الواسع للرأسمال الثقافي للفرد، ويتم إنتاجه اجتماعيا من خلال الرياضة والترفيه وأنماط السلوك. كما يعتبر بورديو أن الجسد يخضع لعملية تشكيل اجتماعي أو نحت اجتماعي، فالبناء الاجتماعي للجسد يجعل من الفوارق الاجتماعية تبدو طبيعية، فيحول الاختلافات البيولوجية الطبيعية إلى اختلافات في المكانات الاجتماعية[12]. انطلاقا من ذلك يمكن القول أن النشاط السياحي، قد يكون استراتيجية لمراكمة الرأسمال الطبيعي، وهنا يكون الدافع للسياحة هو البحث عن الرشاقة والجمال، لتنمية وترقية الجسد كرأسمال طبيعي، وفي هذا السياق توجد مركبات سياحية متخصصة

في هذا الشأن، وهي تشكل فضاءات للتمتع والاسترخاء، واسترجاع الحيوية واستعادة الجمال والنشاط والراحة النفسية، مع وجود خبراء للعلاج الطبيعي متخصصين في مجال الجمال، والرشاقة البدنية وتنشيط الجسم والروح. وفي هذا الإطار ازداد في السنوات الأخيرة الإقبال على سياحة التجميل، حيث تستقطب العيادات والمستشفيات العالمية الرائدة في تقديم العمليات والجراحات التجميلية أعدادا كبيرة من السياح وأصبحت الدول تتخصص في مجالات معينة، فمن يريد شفط الدهون وتخفيض الوزن يذهب إلى الجمهورية التشيكية، وتتخصص بولندا في تجميل الخصر وشفط الدهون وبودابست في زراعة الأسنان وتركيا في زراعة الشعر.

2-2 دور النشاط السياحي في مراكمة الرأسمال الاجتماعي:

عرف بيير بورديو الرأسمال الاجتماعي على أنه: "رصيد اجتماعي من العلاقات والرموز يتفاعل مع الرصيد الذي يملكه الفرد من رأس المال المادي، فهو رصيد قابل للتداول والتراكم والاستخدام، فالفرد عندما ينشئ شبكات اجتماعية أو ينضم إلي أحزاب سياسية أو يستخدم ما لديه من رموز المكانة في ممارسات اجتماعية، فإنما يكون لنفسه رصيدا اجتماعيا وثقافيا يزيد من مصالحه ومن رصيده من القوة والهيبة. ومن ثم تظهر الإمكانية في تحويل رأس المال الاجتماعي إلي رأس مال مادي مثلما يتحول رأس المال المادي إلي رأس مال اجتماعي"[13]. كما يرى بورديو أن الرأسمال الاجتماعي هو "كمّ الموارد الواقعية أو المحتملة التي يتم الحصول عليها من خلال امتلاك شبكة من العلاقات الدائمة المرتكزة على الفهم والوعي المتبادل، وذلك في إطار الانضواء تحت لواء جماعة معينة، فالانتماء لجماعة ما يمنح كل عضو من أعضائها سنداًمن الثقة والأمان الجماعي"[14]. يتضح، إذن، أن الرأسمال الاجتماعي يشير إلى العلاقات التي يكونها الأفراد، والتي تمثل مصدراً قوياً للحصول على منافع وأرباح، كما تتيح هذه العلاقات الفرصة للوصول إلى فوائد وامتيازات اجتماعية، وفي هذا الإطار يرى كولمان**Coleman** أن امتلاك رأسمال اجتماعي يترتب عليه العديد من الفوائد، أهمها[15]:

– الرأسمال الاجتماعي يمكن أن يكون مصدرا للعديد من الامتيازات والمنافع كالحصول على المعلومات، والنفوذ والمراقبة وعلاقات التضامن.

- الرأسمال الاجتماعي يمكن أن يكون مفيدا للوصول لهدف أو لعدة أهداف.

ويوجد الآن العديد من الاتجاهات المثمرة للبحث الإمبيريقي التي استوحت، أو على الأقل تأثرت، بنموذج بورديو في الرأسمال الاجتماعي، أحد هذه الاتجاهات قدم دليلاً قوياً على الارتباط بين رأس المال الاجتماعي، والحصول على وظائف أفضل، والترقي المهني المبكر، والأرباح العالية، والرعاية الصحية العضوية والنفسية، وكشف اتجاه آخر من هذه البحوث عن أن نقص الرأسمال الاجتماعي قد فاقم مشكلات الفقراء، ومن أبرز هذه البحوث نجد بحث روبرت بنتامRobert Putnam حول الرأسمال الاجتماعي سنة 1995 والذي أكد فيه التأثير الحاسم لتزايد حجم الرأسمال الاجتماعي قي حسن العيش والنمو والصحة العمومية[16]. كما أن الإقصاء الاجتماعي، وهو أحد أشكال نقص الرأسمال الاجتماعي، يؤدي بالأفراد والأسر، وكل الجماعات غير المستفيدة من الامتيازات الاجتماعية، إلى السقوط في دائرة الفقر[17]. وعليه، يمكن القول إن رؤية بورديو تقدم فهما أفضل لفوائد شبكة العلاقات والاتصالات في الحصول على امتيازات مهمة في مواقع اجتماعية متنوعة. فشبكة العلاقات الاجتماعية التي يمتلكها الأفراد، والتي تشكل رأس مالهم الاجتماعي، يمكن أن تستخدم بطريقة إستراتيجية للحصول على منافع، وتساعد على خلق وترسيخ مزايا اجتماعية للفاعلين.

انطلاقا من ذلك، يتضح لنا أن النشاط السياحي يشكل فرصة للأفراد، لتكوين شبكة علاقات اجتماعية واسعة، من خلال الاحتكاك والتواصل، وعن طريق الدعوات المتبادلة والترفيه المشترك، هذه العلاقات الاجتماعية تشكل مصدرا قويا للحصول على منافع ومزايا اجتماعية. وفي هذا الإطار تستوقفنا العديد من الأمثلة التي تؤكد هذا الطرح، فالمخيمات الصيفية ومراكز الراحة والاصطياف التابعة لقطاعات مهنية معينة تشكل فضاء لتوطيد العلاقات وتطوير شبكات اجتماعية مهنية بين المنتمين لنفس القطاع. ففي الجزائر تتوفر العديد من المؤسسات الاقتصادية والإدارية والنظامية، على هياكل سياحية تابعة لها، كالمراكز السياحية التابعة لمؤسسة سوناطراك، ومراكز الراحة العائلية لعمال التربية، ومراكز الراحة التابعة للجيش الوطني الشعبي. فبالإضافة إلى كونها مركبات سياحية للراحة والاستجمام، فهي تمثل وسيلة لتدعيم روح الانتماء والولاء للمؤسسة، كما تشكل فضاءات للتعارف والتواصل، وبالتالي مراكمة رأسمال اجتماعي، يمكن أن يساهم في تحقيق منافع مهنية، وتدعيم المركز التنافسي في الحقل المهني للعديد من العمال والموظفين.

فضلا عن ذلك، تشكل سياحة المؤتمرات والمهرجانات والتربصات العلمية فرصة مواتية للالتقاء والتعارف والتواصل بين الباحثين والمختصين وربط العلاقات فيما بينهم، كما تسمح بتوسيع الشبكات الاجتماعية، مما يساهم في نمو الرأسمال الاجتماعي، وخير مثال عن ذلك التربصات العلمية بالخارج التي يستفيد منها أساتذة التعليم العالي في الجزائر، والتي منحت لهم فرصة التواصل وربط العلاقات مع العديد من الأساتذة والباحثين من دول مختلفة، مما يفتح آفاقا أرحب للشراكة والتعاون العلمي.

كما تشكل السياحة التجارية فرصة لرجال الأعمال والمستثمرين والتجار لتوسيع شبكة علاقاتهم، وتدعيم رأسمالهم الاجتماعي، من خلال زيارة الأسواق والمعارض التي تقام في مختلف الدول، ومن شأن ذلك أن يعود عليهم بمنافع اجتماعية واقتصادية مختلفة، وأرباح عالية، " فالرأسمال الاجتماعي جد مهم في الحياة الاقتصادية لأن الشبكات والمعايير والثقة تسهل التعاون وبناء الثقة الضروريتين في عالم التجارة والاستثمار "[(18)].

من جهة أخرى يتطلب امتلاك رأسمال اجتماعي، العمل على إقامة وصيانة العلاقات الاجتماعية ومضاعفتها باستمرار، ولتحقيق ذلك يتبع الأفراد استراتيجيات مختلفة لمراكمة الرأسمال الاجتماعي، كالدعوات المتبادلة والترفيه المشترك، والإقبال على السياحة الجماعية المنظمة من طرف وكالات الأسفار، إضافة إلى التردد على الأماكن السياحية الراقية والفنادق الفخمة للاحتكاك بالطبقات المتميزة والمسيطرة والبحث عن العلاقات. خاصة وأن حجم رأس المال الاجتماعي الذي يتحصل عليه فاعل معين، يعتمد على حجم شبكة العلاقات التي يمكنه إدارتها بكفاءة، ويعتمد كذلك على كم رؤوس الأموال الأخرى كرأس المال الثقافي والرمزي والاقتصادي التي يمتلكها الفاعلون الآخرون المشاركون في شبكة العلاقات. لذلك نجد الأفراد ينفقون من رأسمالهم الاقتصادي لمراكمة رأسمالهم الاجتماعي، وهذا كون شبكة العلاقات الاجتماعية التي يمتلكها الأفراد، يمكن أن تستخدم بطريقة إستراتيجية للحصول على مزايا وفوائد اجتماعية.

وانطلاقا من كون استراتيجيات إعادة الإنتاج هي مجموعة الممارسات التي تهدف للحفاظ على الوضع الاجتماعي أو تحسينه، وهي تعتمد على حجم رأس المال وآليات إعادة الإنتاج فإن إعادة إنتاج الرأسمال الاجتماعي مرتبطة بكل المؤسسات والممارسات والأمكنة الهادفة لتشجيع التبادلات الشرعية ولاستبعاد التبادلات غير الشرعية، وذلك بخلق مناسبات (سباقات، رحلات) وتوفير أمكنة (أحياء راقية، نواد، فنادق، مركبات سياحية) وتشجيع ممارسات (رياضات راقية، حفلات ثقافية، نشاطات ترفيهية) تجمع بطريقة عفوية أفراد منسجمين قدر

الإمكان في إطار علاقات مشجعة لوجود الجماعة واستمرارها[19]. من هنا يتضح لنا أن النشاط السياحي يمكن أن يستخدم كآلية لإعادة إنتاج الرأسمال الاجتماعي، كما يمكن للمرافق السياحية أن تكون فضاءً خصبا لتحقيق هذا المسعى.

ومع ظهور الأنترنت انتشرت ظاهرة التواصل الاجتماعي في العالم الافتراضي، وأصبحت شبكات التواصل الاجتماعي تعرف يوما بعد يوم تطورا على مستوى الخدمات وعلى مستوى التقنيات والبرمجيات، حيث يمكن من خلالها تبادل المعلومات والملفات الخاصة والصور ومقاطع الفيديو، كما أنها أضحت تشكل مجالا رحبا للتعارف والصداقة، حيث يبني الأفراد شبكة علاقات اجتماعية وصدقات عبر المنتديات وشبكات التواصل الاجتماعي، ويتجسد اللقاء والتواصل في الواقع من خلال السفر والنشاط السياحي، فعن طريق السياحة تتحول الصداقات التي تشكلت في العالم الافتراضي إلى حقيقة ملموسة.

2-3- دور النشاط السياحي في مراكمة الرأسمال الرمزي:

يرتبط الرأسمال الرمزي بالهيبة والسمعة والقيمة التي يضفيها الناس على الفرد. ويقصد بالرأسمال الرمزي الموارد المتاحة للفرد نتيجة امتلاكه سمات محددة، كالشرف، والهيبة Prestige، والسمعة الطيبة، والسيرة الحسنة التي يتم إدراكها وتقييمها من جانب أفراد المجتمع. ويرى بورديو أن الرأسمال الرمزي هو مثل أي ملكية أو أي نوع من رأس المال – طبيعي، اقتصادي، ثقافي، اجتماعي – يكون مدركاً من جانب فاعلين اجتماعيين تسمح لهم مقولات إدراكهم بمعرفتها والإقرار بها، ومنحها قيمة. ويرتكز الرأسمال الرمزي على الذيوع والانتشار، والاستحسان، إنه يرتبط بالهيبة والسمعة والشرف، التي تلاقي تقديراً من الآخرين، ويتطلب تراكم هذا الشكل من الرأسمال جهداً متواصلاً، من أجل الحفاظ على العلاقات التي تؤدي إلى الاستثمار المادي والرمزي له[20].

وانطلاقا من ذلك يمكن القول إن الأفراد يتبعون عدة استراتيجيات استثمار تهدف إلى صيانة ومراكمة الرأسمال الرمزي ومن أجل التميز تجاه أعضاء الطبقات الأخرى، وفرص إظهار التميز في الحياة الاجتماعية متعددة، يمكن أن تكون في اللباس، والتأثيث الداخلي، والسياحة، والترفيه، والرياضة، والطبخ. أي كل النشاطات التي تهدف إلى صيانة وتنمية رأسمال الاعتراف[21].

ففي مجال السياحة نجد أن تصنيف وترتيب الهياكل السياحية من فنادق ومطاعم إلى درجات –تقاس بعدد النجوم– له دلالة رمزية، ويحمل قيمة رمزية لها علاقة بمراكمة الرأسمال الرمزي، وبذلك تصبح الإقامة في الفنادق من صنف خمس نجوم لها بعد رمزي، إذ تمثل دلائل خارجية للثراء، تعكس حجم الرأسمال الاقتصادي وتكشف الفوارق الطبقية، وبالتالي يصبح الإنفاق السياحي استراتيجية للتعريف بالأنا وإظهار المكانة في الفضاء الاجتماعي، ووسيلة لضمان نوع من الاعتراف الاجتماعي وإثبات هوية خاصة، تكون موضع احترام وتقدير من طرف أفراد المجتمع، خاصة بالنسبة للبرجوازية الصاعدة. فارتياد الأماكن السياحية الفخمة، والإقامة في السلاسل الفندقية ذات الشهرة العالمية مثل هيلتونHilton، شيراتونSheraton قد يندرج ضمن استراتيجية رمزية ينتهجها الأفراد للتموضع في عالم رمزي، يعكس التمثل الذي يحمله الفرد عن وضعه وموقعه في الفضاء الاجتماعي، "فالهيبة لها ثمن كما يقال: le prestige se paie"[22].

وفي هذا السياق بدأت تنتشر في المجتمع الجزائري أنماط الاستهلاك التفاخري، كإقامة الحفلات في الفنادق الفخمة، وقضاء الإجازات والعطل السنوية في المركبات السياحية بالخارج، للتباهي والتميز الاجتماعي. وكل ذلك يشكل مؤشرا عن تغير قيمي، وهو ما أكده الباحث مصطفى بوتفنوشات، حيث أشار إلى أن "مختلف الشرائح

الاجتماعية ومختلف الفئات العمرية مولعة بفكرة امتلاك مكانة اجتماعية ترتكز على نمط الاستهلاك، فتوسيع قاعدة الاستهلاك وتأسيس نظام استهلاك مظهري، أصبحا من الأهداف الاجتماعية– الثقافية ذات الأولوية لدى الفرد الجزائري"[23]. فالاستهلاك الرمزي يهدف بالدرجة الأولى إلى إثبات المكانة الاجتماعية، وإظهار الدلائل الخارجية للثراء لكسب نوع من الاعتراف الاجتماعي، وهو حسب ماركسو Marcoux يرمز في التمثل الاجتماعي إلى النجاح، والغنى والهيبة[24].

وعليه أصبح النشاط السياحي يستخدم كاستراتيجية للتباهي وإظهار المكانة في الفضاء الاجتماعي، فحتى **الوجهة السياحية** لها بعد رمزي، فاختيار أبناء الطبقات الميسورة لمدن عالمية مشهورة كباريس، ولندن، واسطنبول، وشرم الشيخ.. لقضاء شهر العسل أو العطل السنوية، يشكل استراتيجية لإظهار الثراء، وكسب نوع من الاعتراف الاجتماعي. وهذا ما أشار إليه باكار Packard بقوله: "الأفراد يبذلون جهدا متواصلا لإظهار دلائل مرئية تثبت علو منزلتهم الاجتماعية"[25].

وبظهور شبكات التواصل الاجتماعي أصبحت هذه الأخيرة تشكل آلية حديثة لمراكمة الرأسمال الرمزي من خلال نشر الأفراد لصورهم التي قاموا بالتقاطها بجوار المعالم الرئيسية والأماكن الرمزية في كبريات المدن العالمية على صفحات مواقع التواصل الاجتماعي؛ مثل برج إيفل بباريس، والجسر المتحرك بلندن، والمسجد الأزرق في مدينة اسطنبول وهذا بغرض الحصول على مكاسب رمزية gains symboliques من وراء الترويج لنشاطهم السياحي بهذه المدن.

ومن منظور بيير بورديو، يدخل الرأسمال الرمزي في مختلف الحقول والمجالات، ومختلف أشكال السلطة والهيمنة، ويتمثل في مختلف أشكال العلاقات الاجتماعية، فخاصية الشرف تحمل معاني أخلاقية محددة، بحيث أن من يملك خصائص الشرف – كالقيم والمعتقدات والتصرفات – يعد شريفاً، ومن لا يملكها لا يعدّ كذلك، ويكون الشخص الشريف موضع احترام وثقة وتقدير، تبعاً لما يملكه من رأس مال رمزي، ومن ثم يرتبط الرأس المال الرمزي بأهمية الموقع الذي يشغله الفرد في الفضاء الاجتماعي من جهة، وبالقيمة التي يضفيها الناس عليه من جهة أخرى، وتتعلق هذه القيمة بأنظمة استعدادات الأشخاص وتصوراتهم المتوافقة مع البنى الموضوعية[26] وانطلاقا من هذا التحليل، يمكننا كشف الأبعاد الخفية غير المعلنة لظاهرة تشهد تناميا في المجتمع الجزائري، وهي التردد على البقاع المقدسة لأداء العمرة أو فريضة الحج من طرف أفراد ليس غرضهم القيام بفريضة دينية، بقدر ما هم متلهفون للحصول على الاعتراف الاجتماعي والسمعة والشرف من خلال لقب "**حاج**"، وحتى يكونوا موضع احترام وثقة وتقدير في المجتمع. ومثالا عن ذلك المنتمون إلى البرجوازية الطفيلية الصاعدة، والتي تملك رأسمالا اقتصاديا معتبرا وينقصها رأسمال رمزي، فهؤلاء الأفراد تمكنوا من تكوين رأسمال اقتصادي(ثروة، ممتلكات) بطرق غير شرعية، وبالتالي فهم يقبلون على السياحة الدينية لتشكيل الرأسمال الرمزي الذي ينقصهم. وعليه، فإن زيارة البقاع المقدسة كنشاط سياحي ديني تحولت عند البعض إلى استراتيجية للاستثمار الرمزي، وبهذا أصبحت السياحة الدينية تشكل إستراتيجية خفية لامتلاك هوية اجتماعية، وشرعية مستمدة من الحقل الديني.

3- تطور مفهوم الرأسمال وعلاقته بالنشاط السياحي:

وسع المنظرون الأمريكيون؛ كولمان Coleman، فوكوياوا Fukuyama، وبويتنام Putnam، فكرة الرأس المال المطروحة من طرف بيير بورديو، من خلال التركيز على البعد الجماعي لرأس المال، فهذا الأخير قد يكون ملكية جماعية مشتركة بين أفراد جماعة ما، بعدما كان الرأسمال ملكية فردية خالصة في نظر بورديو[27].

وانطلاقا من هذا المنظور الجديد لرأس المال، نجد أن النشاط السياحي له انعكاسات إيجابية على الرأسمال المشترك لسكان المناطق التي تشهد تدفقا سياحيا مرتفعا، ويتجلى ذلك بوضوح على المستوى الاقتصادي، الاجتماعي، والثقافي والحضاري، فالظاهرة السياحية تساهم في تحسين نمط حياة وأسلوب عيش سكان المناطق السياحية، لذا نجدهم أكثر نضجا اجتماعيا، وأكثر انفتاحا ومرونة في التعامل مع الآخر المختلف، مقارنة مع سكان المناطق المعزولة، فالسياحة تعمل على تنمية وتطوير الرأسمال الثقافي والاجتماعي الجماعي لسكان المناطق السياحية عن طريق التثاقف Acculturation. وفي هذا السياق نشير إلى أن التثاقف عن طريق النشاط السياحي، قد لعب دورا بارزا في نقل مفاهيم ومضامين التحديث إلى المجتمع الجزائري، إذ عمل على نقل السمات والأنماط الثقافية الغربية إلى المناطق المختلفة من الوطن، خاصة في فترة السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي، والتي شهد فيها القطاع السياحي انتعاشا كبيرا ، حيث كانت الجزائر قبلة لعدد كبير من السياح الأوروبيين، مما جعل البلد منفتحا على الثقافات الأخرى[28].

خاتمـــة

من خلال تحليلنا السابق، تتجلى لنا قدرة مفهوم رأس المال لبير بورديو، على تقديم تفسير متعدد الأبعاد للظاهرة السياحية، ففي ضوء هذا المفهوم استطعنا أن نقدم تحليلا أكثر عمقا للنشاط السياحي، كما مكننا من اكتشاف الأبعاد الخفية التي ينطوي عليها هذا النشاط، والذي أصبح يشكل استراتيجية لدى الأفراد لمراكمة الرأسمال الاجتماعي، والثقافي والرمزي، كما سمح لنا هذا التحليل بتسليط الضوء على الاستخدامات الاجتماعية للسياحة والأبعاد غير الاقتصادية للتنمية السياحية، والتي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار عند أي استثمار في هذا المجال الواعد.فضلا عن ذلك فإن الورقة البحثية الراهنة، تفتح أفاق علمية جديدة لإجراء دراسات أخرى ترتكز على المنظومة المفاهيمية التي جاء بها بيير بورديو من أجل تسليط الضوء وإظهار العديد من الظواهر والقضايا الاجتماعية التي كانت خافية، خاصة وأن معظم البحوث السوسيولوجية في الجزائر والعالم العربي تركز على ظاهر الأشياء وشكلها دون الاهتمام بمضامينها وجوهرها، مع أن الدور الحقيقي لعلم الاجتماع – حسب بيير بورديو – هو كشف ما هو خفي أي " غير المعلن" le non-dit، وهو ما أكده الباحث محمد حافظ دياب في دراسته للخطاب السوسيولوجي في الجزائر بقوله: "أنه ما يزال سائدا الاتجاه السوسيولوجي القائل إن مهمة السوسيولوجيا هي الاقتصار على دراسة المعطيات الظاهرة والمباشرة، التي تتفادى الموقف الأصعب القائم على إعادة هيكلة الواقع، واستخراج قوانينه وديناميكياته عبر تجاوز الظواهر والعلاقات المباشرة، إلى البحث عن المحركات والعناصر الفاعلة في آلية حركية البنية الاجتماعية – الاقتصادية"[29].

-الإحالات والهوامش:

1- بيير بورديو Pierre Bourdieu (1930-2002) عالم اجتماع فرنسي، عمل كأستاذ للفلسفة بجامعة الجزائر ابتداء من 1957، عين كأستاذ كرسي لعلم الاجتماع بفرنسا سنة 1982. ثم كمدير للمركز الأوروبي لعلم الاجتماع سنة 1985، تحصل على الميدالية الذهبية من المركز الوطني البحث العلمي CNRS بفرنسا سنة 1993، قام بعدة دراسات حول المجتمع الجزائري نشرها في عدة كتب أهمها:

Sociologie de l'Algérie سنة 1958، Travail et travailleurs en Algérie سنة 1963،
Le Déracinement, La crise de l'agriculture traditionnelle en Algérie، سنة 1964

2- حسني إبراهيم عبد العظيم، الجسد والطبقة ورأس المال الثقافي، قراءة في سوسيولوجيا بيير بورديو، في مجلة إضافات، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 15، بيروت، صيف 2011، ص 60.

3- نفس المرجع، ص 62.

4- ماهر تريمش، بيار بورديو: فضاء اللعبة، الحقل المشهد، السلع الرمزية تراكم الامتياز، كتابات معاصرة، العدد 36، لبنان، فيفري- أفريل 1999، ص 31.

5- بيار بورديو، أسباب عملية، ترجمة أنور مغيث، الدار الجماهيرية للطبع والنشر، طرابلس، 1966، ص 176

6- Harker, H. and other, An Introduction to the Work of Pierre Bourdieu, Macmillan, London, 1990, p 18-19

7- حسني إبراهيم عبد العظيم، بيير بورديو الفلاح الفرنسي الفصيح، مؤسسة الحوار المتمدن، العدد: 3503 – 2011/10/1، منشور على الرابط: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=277688

8- حنان مراد وحنان مالكي، أثر الانفتاح الثقافي على المواطنة لدى الشباب الجزائري، في مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية لجامعة بسكرة، عدد خاص بالملتقى الدولي حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية للمجتمع الجزائري، ص 546.

9- Pierre Bourdieu, Questions de sociologie, édition originale de Minuit, Paris, 1984, Cérès Productions Tunis, 1993, p 1.

10- أحمد بن نعمان، التعريب بين المبدأ والتطبيق، دار الأمة، ط 2، الجزائر، 1998، ص 356.

11- Pierre Bourdieu et Jean-Claude Passeron, Les héritiers. Les étudiants et la culture, Editions de Minuit, Paris, 1964, P 28.

12- حسني إبراهيم عبد العظيم، مرجع سابق، ص ص 68–72.

13- أحمد زايد وآخرون، رأس المال الاجتماعي لدى الشرائح المهنية من الطبقة الوسطي، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب بجامعة القاهرة، القاهرة 2006، ص 5.

14- حسني إبراهيم عبد العظيم، مرجع سابق، ص 64.

15- Maurice Lévesque, Le capital social comme forme sociale de capital: reconstruction d'un quasi-concept et application à l'analyse de la sortie de l'aide sociale, PHD, en sociologie des arts et des sciences, université de Montréal,2000, p 24.

16- فوزي بوخرص، مفهوم الرأس المال الاجتماعي عند بورديو وحدود التلقي العربي، في مجلة إضافات، مركز دراسات الوحدة العربية، العددان 23– 24 ، بيروت، صيف وخريف 2013، ص 144.

17- حسني إبراهيم عبد العظيم، مرجع سابق، ص 64-65.

18- Meda Dominique, Le capital : un point de vue critique, p 40, i: http://www.cairn.info/revue-l-economie-politique-2002-2-page-36.htm en date du 30.03.2014.

19- فوزي بوخرص، مرجع سابق، ص 148.

20- حسني إبراهيم عبد العظيم، مرجع سابق، ص 65-66.

21- Patrice Bounnewitz, Première leçon sur La Sociologie de P. Bourdieu, Presses Universitaires de France, 2eme édition, Paris, 1998, p 57.

22- LahouariAddi, Violence symbolique et statut du politique dans l'œuvre de Pierre Bourdieu, In Revue française de science politique, décembre 2001, p 8.

23- Mostafa Boutefnouchet , la société Algérienne en transition, OPU, Alger 2004, p 61.

24- Marie-Hélène Moawad, Les Facteurs explicatifs de la consommation ostentatoire- le cas du Liban- Thèse pour l'obtention du Doctorat en Sciences de Gestion, Université Paris IIX, 2007, p 49.

25- Ibid, p 48.

26- حسني إبراهيم عبد العظيم، مرجع سابق، ص 66.

27- Meda Dominique, Op.cit., p 40.

28- انظر: حسان تريكي، التحديث وانعكاساته على نسق القيم الاجتماعية في المجتمع الجزائري، في مجلة العلوم الإنسانية، مجلة أكاديمية محكمة، تصدر عن جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 31/30، ماي 2013، ص ص 83– 96.

29- محمد حافظ دياب، علم الاجتماع في الجزائر: الهوية والسؤال، في مجلة المستقبل العربي، العدد 134، أفريل 1990، ص 94.

- **قائمة المصادر والمراجع:**

- أحمد بن نعمان، 1998، التعريب بين المبدأ والتطبيق، دار الأمة، ط 2، الجزائر.
- أحمد زايد وآخرون، 2006، رأس المال الاجتماعي لدى الشرائح المهنية من الطبقة الوسطي، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب بجامعة القاهرة، القاهرة.

- بيار بورديو، 1966، أسباب عملية، ترجمة أنور مغيث، الدار الجماهيرية للطبع والنشر، طرابلس.
- حسني إبراهيم عبد العظيم، الجسد والطبقة ورأس المال الثقافي، قراءة في سوسيولوجيا بيير بورديو، في مجلة إضافات، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 15، بيروت، صيف 2011.
- حسني إبراهيم عبد العظيم، بيير بورديو الفلاح الفرنسي الفصيح، مؤسسة الحوار المتمدن، العدد: 3503 – 2011/10/1، منشور على الرابط: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=277688
- حنان مراد وحنان مالكي، أثر الانفتاح الثقافي على المواطنة لدى الشباب الجزائري، في مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية لجامعة بسكرة، عدد خاص بالملتقى الدولي حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية للمجتمع الجزائري.
- فوزي بوخرص، مفهوم الرأس المال الاجتماعي عند بورديو وحدود التلقي العربي، في مجلة إضافات، مركز دراسات الوحدة العربية، العددان 23– 24 ، بيروت، صيف وخريف 2013.
- ماهر تريمش، بيار بورديو: فضاء اللعبة، الحقل المشهد، السلع الرمزية تراكم الامتياز، كتابات معاصرة، العدد 36، لبنان، فيفري– أفريل 1999.
- محمد حافظ دياب،علم الاجتماع في الجزائر: الهوية والسؤال، في مجلة المستقبل العربي،العدد 134، أفريل 1990.
- Harker, H. and other,1990, An Introduction to the Work of Pierre Bourdieu, Macmillan, London.
- LahouariAddi, Violence symbolique et statut du politique dans l'œuvre de Pierre Bourdieu, In Revue française de science politique, décembre 2001.
- Marie-Hélène Moawad, Les Facteurs explicatifs de la consommation ostentatoire- le cas du Liban- Thèse pour l'obtention du Doctorat en Sciences de Gestion, Université Paris IIX, 2007.
- Maurice Lévesque, Le capital social comme forme sociale de capital: reconstruction d'un quasi-concept et application à l'analyse de la sortie de l'aide sociale, PHD, en sociologie des arts et des sciences, université de Montréal,2000.
- Meda Dominique, Le capital: un point de vue critique, P 40, in: http://www.cairn.info/revue-l-economie-politique-2002-2-page-36.htm en date du 30.03.2014.
- Mostafa Boutefnouchet , 2004, la société Algérienne en transition, OPU, Alger.
- Patrice Bounnewitz,1998, Première leçon sur La Sociologie de P. Bourdieu, Presses Universitaires de France, 2eme édition, Paris.
- Pierre Bourdieu, Questions de sociologie, édition originale de Minuit, Paris, 1984, Cérès Productions Tunis, 1993.
- Pierre Bourdieu et Jean-Claude Passeron, 1964, Les héritiers. Les étudiants et la culture, Editions de Minuit, Paris.